



مركز البيدر للدراسات والتخطيط

Al-Baidar Center For Studies And Planning

دروس مستفادة من النزاع الروسي - الأوكراني

أسامة الشيب

إصدارات مركز البيدر للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكومية، وغير ربحية، تأسس سنة ٢٠١٥م، ومُسجل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

ويسعى المركز للمساهمة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسية التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام، ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. ويسعى المركز لدعم الإصلاحات الاقتصادية والتنمية المستدامة وتقديم المساعدة الفنية للقطاعين العام والخاص، كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص، والنهوض به لتوفير فرص عمل للمواطنين عن طريق التدريب والتأهيل لعدد من الشباب، بما يقلل من اعتمادهم على المؤسسة الحكومية، ويساهم في دعم اقتصاد البلد والارتقاء به.

ويسعى أيضاً للمساهمة في بناء الانسان، باعتباره ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لإعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني وتطبيق رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الإلتزام بمكارم الاخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بأنواعه كافة، الإدارية ومالية وفكرية وأخلاقية وغيرها.

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org

دروس مستفادة من النزاع الروسي - الأوكراني

أسامة الشيب

بدأت الأزمة الأوكرانية الروسية فعلياً على المستوى الإعلامي والسياسي قبل أن تبدأ عسكرياً، وما إن انطلق العمل العسكري الروسي في الداخل الأوكراني، أخذت الأحداث تتصاعد بوتيرة متسارعة وشاملة عسكرياً، واقتصادياً، وسياسياً، وإعلامياً.

تناولت الصحف والقنوات ووسائل التواصل الحدثَ بمتابعة تفصيلية ومباشرة، وكتب وتحدّث كثير من المحللين والكتاب والمفكرين عن خلفيات القضية وطبيعتها السياسية والعسكرية وتداعياتها المختلفة على الأمن العالمي سياسياً واقتصادياً وعسكرياً في إطار منطقة الصراع ودول العالم المختلفة.

وعلى الرغم من أنّ الحدث الأوكراني الروسي وطبيعته العسكرية لا تزال مستمرة وفي طور تصاعدي بين الأطراف الدولية، ولم تُعرف بعدُ مدياته وأهدافه النهائية وما سينتجه من متغيرات سياسية عالمية، التي يشير لها بعض المختصين على أنّ العالم يمرّ بمرحلة جديدة، هي تبلورُ عالمٍ جديد وهو في طور الولادة أو النمو، عالمٌ ما بعدَ القطب الواحد أو متعدد الأقطاب، فقد تحدّث البعض عن زاوية مهمة من زوايا الحدث الأوكراني الروسي، المتعلقة بالجبر والدروس المستفادة التي تجلّت في كثير من جوانب القضية والمواقف والتصريحات الرسمية للدول والمنظمات والشخصيات الدولية.

وفي هذا السياق برزت للمتأمل والمتابع لطبيعة الأحداث وما حولها، مجموعة من الدروس الهامة والتي ربما تكون محطةً للمراجعة لكثير من الآراء والمواقف التي تتبناها جهات وشخصيات سياسية وثقافية واجتماعية، وأهمُّ هذه الدروس التي سنتوقف عندها قليلاً هي ثلاثةٌ تناولها بإيجاز:

الدرس الأول

لقد أثار النزاع الروسي الأوكراني نقطة لافئة ومكررة في السياسة والعلاقات الدولية، ألا وهي مسألة الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية ورهن مصير الدولة والبلد على العلاقة معها أو الوعد الذي قطعته لها. لكنّ هذا الأمر قد أوقع كثيراً من الذين رهنوا مصيرهم ومصير بلدانهم في الفخ والفشل، وهذا ما حصل في أفغانستان مع الرئيس الأفغاني أشرف غني الذي هرب من

* دكتوراه في القانون العام، وباحث في مركز البيدر للدراسات والتخطيط.

أفغانستان بطريقة درامية، والذي اعترف بأنَّ أكبر خطأ ارتكبه في حياته هو الوثوق بالولايات المتحدة الأمريكية وشركائها الغربيين، وأنهم، أيَّ الأمريكيين، «استخدموه ككبش فداء»، ولم يكن يعلم أنَّ يوم ١٥ أغسطس سيكون يومه الأخير في أفغانستان، وقال إنَّ قائد حرسه الجمهوري أعطاه دقيقتين فقط، لكي يُقرّر البقاء أو الرحيل، فاختار الثانية تجنُّباً للموت بعد انهيار جيشه ودُخول حركة طالبان إلى العاصمة (رأي اليوم : ٣٠ كانون ٢٠٢١).

وهذه الحال تتكرر مع أوكرانيا التي دعمها الغرب والولايات المتحدة الأمريكية وقدّموا لها الوعود والضمانات بحمايتها، لكنَّ عندما حانت لحظة الحقيقة تركوها ونكثوا وعودهم، حيث قال الرئيس الأوكراني زيلينسكي إنَّ «الوعد» الغربية بشأن حماية أوكرانيا من الهجمات الروسية، لم يتم الإيفاء بها (الشرق الأوسط: ٨ مارس ٢٠٢٢). وهناك العديد من الأمثلة والتجارب المماثلة لذلك، لذا فإنَّ الدرس المهم من الحدث الأوكراني أنَّ الولايات المتحدة وشركاءها الغربيين لا يمكن الوثوق بهم والاعتماد عليهم، وخطيئة كبرى أن يُرهن مصيرُ بلدٍ ما ومستقبله بيد الولايات المتحدة الأمريكية، فإنها لا تعرف إلا مصالحها وإنها لا تتوانى في ترك أقرب أصدقائها وحلفائها ولو عقدت معه أعظم العهود والاتفاقيات والمواثيق.

الدرس الثاني

من الدروس التي أثارها الحدث الروسي - الأوكراني، ازدواجية المعايير التي يتعامل بها (النظام الدولي) وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية. لقد تصدع رأس العالم بشعارات الديمقراطية الليبرالية كحقوق الإنسان، واستقلال الشعوب في تحديد مصيرها، والشرعية الدولية وحاكمية قواعد القانون الدولي وغيرها من تلك الشعارات، والتي ضجّت بها وسائل الإعلام والقنوات والصحف والمؤسسات في العالم الغربي هذه الأيام في الدفاع عن دولة أوكرانيا واستقلالها وشعبها ومصير حقوق الإنسان فيها.

لكنَّ ذلك كلّه لا تجدُّ له أثراً يذكر عند الاعتداء على دول أخرى وحق شعوب مستضعفة أو فقيرة في مناطق أخرى كآسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، فلم يكن لاحتلال أفغانستان أو للحرب على العراق وما خلفتهما من كوارثٍ وقتلٍ وتهجيرٍ من صدىٍ لشعاراتٍ مثل حقوق الإنسان، واستقلال الدول، وقواعد القانون الدولي. ولا ترى أثراً لتلك الماكينات الإعلامية وصراخها المدوي بحق الانتهاكات المستمرة بحق الإنسان والأطفال في دول كفلسطين والعراق وسوريا، واليمن، وليبيا، وغيرها.

هذا فضلاً عن الجوانب العنصرية في التمييز بين البشر على أساس لون البشرة والشعر والعينين، وحق اللجوء يصبح تعاطياً إنسانياً إذا كان اللاجئ ذا شعرٍ أشقرٍ وعينين ملونتين، أمّا إذا كان اللاجئ من أصحاب العيون غير الملونة وكان ذا شعرٍ أسودٍ فإنه يصبح غير شرعي ومتجاوزاً على القانون ومنتهكاً لحدود القانون، وهذا السلوك -التمييز على أساس اللون- هو من أبشع ما عرفته الإنسانية قديماً وحديثاً.

الدرس الثالث

من الدروس التي يعطيها النزاع الأوكراني -الروسي، أنّ أساس قوة أي دولة من الدول هو عمقها الداخلي المتمثل بالشعب واعتبار المواطنين ركيزة حماية الدولة ومؤسساتها وقياداتها ومسؤوليها، والاعتماد على الشعب داخلياً في مواجهة التحديات والأعاصير المختلفة سياسياً وعسكرياً، ذلك هو الأساس في مواجهة مختلف التحديات والصعاب والمشاكل.

لذلك فالدولة والنظام الحاكم الذي لا يعتمد على شعبه ولا يثق بمواطنيه في الداخل، وإنما يبني آماله على الخارج -وإن كان الخارج قوياً دوليةً عظمى- في مواجهة التحديات فإنه لا يستطيع المواجهة ويكون معرضاً للسقوط والانهيار لا محالة، ويصبح يستغيث بلا معين له. لذلك يشاهد العالم بشكل متكرر الرئيس الأوكراني «زيلنسكي» وهو يستغيث بالخارج سواء كان الاتحاد الأوروبي أو قوات حلف الناتو أو الولايات المتحدة الأمريكية، وكأن أوكرانيا هي عبارة عن صحراء خالية ليس فيها أكثر من أربعين مليون نسمة وتضم مؤسسات وجيشاً ونظاماً... الخ.

تبقى النزاعات والصراعات العسكرية منهكة ومدمرة للأطراف المتنازعة بصرف النظر عن حسابات الربح والخسارة في المجال السياسي والاقتصادي والعسكري، لكنّ الأهم فيها هو أخذ العبرة والدرس من هذه الأحداث للاستفادة منها في المستقبل، أي مستقبل الدول والمجتمعات والشعوب.